تلخيص الدرس العاشر لمادة علوم القرآن

✸ علم التفسير

القرآن الكريم نزل على النبي ﷺ وبلغه للصحابة، فالنبي ﷺ فهم القرآن الكريم، والصحابة -رضي الله عنهم- كانوا يفهمون القرآن الكريم، ولكن كانوا رُبما يسألون عن بعض الآيات التي قد يكون فيها غموض، أو يكون فيها غرابة أو لا يفهمونها على وجهها، فيأتي النبي ﷺ ويُفسر ويُبين لهم هذه الآيات، فهذا هو علم التفسير.

✸ معنى التفسير.

التفسير في اللغة: مأخوذ من الفَسْر

مأخوذ من قول العرب: فسر فلان عن ذراعه، يعني كشف الثوب عن ذراعه

الفَسْر في لغة العرب: هو الكشف والبيان.

➢ ما علاقة التفسير بالفسر؟

قالوا: هو نفس الشيء، الفسر في اللغة هو الكشف والبيان والإيضاح. ، وتفسير القرآن الكريم هو بيان معاني القرآن الكريم.

بعض علماء اللغة وهذا غريب- قالوا: فَسْر إنه مقلوب سَفَر، وسَفَر مأخوذة من الكشف ، وإن كان هذا قولا ضعيفا.

التفسير اصطلاحًا:

التعريف1 : هو علم يُفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه ﷺ باستخراج أحكامه وحِكَمه.

التعريف 2 : بيان معاني القرآن الكريم

الشيخ اعتمد التعريف الثاني بأن التفسير في الإصطلاح : هو بيان معاني القرآن الكريم

لأن الصحابة -رضي الله عنه- كانوا يسألون سؤالا: ما معنى قوله تعالى كذا يقول النبي ﷺ معناه كذا.. وينتهى الموضوع.

مثال1 : الرسول ﷺ كان على المنبر، فقال ﷺ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60]

ثم قال ﷺ ﴿ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي﴾ ففسر القوة الموجودة في الآية بمعنى الرمي بالذات، كأن أعظم القوة: الرمي

مثال2 : جاء عبد الله بن مسعود،الى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82]، إذا كان كل واحد منا لا يتحقق له الأمن في الآخرة والهداية إلى الجنة إلا إذا اجتنب الظلم، فمَن هو الذي يسلم منا من ظلم نفسه أو ظلم أخيه يعني صغائر الظلم لأن عبد الله بن مسعود فهم أن المقصود بقوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ مطلق الظلم، أي ظلم.

فالرسول ﷺ قال له ليس الذي تعني: ﴿ألم تسمع قول العبد الصالح - الذي هو لقمان -: "يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ"﴾

فالرسول ﷺ فسر الظلم في سورة الأنعام بالشرك، فكأن معنى الآية، الذي آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بشرك أولئك لهم الأمن وهم مهتدون

الشاهد فيه: كيف فسر النبي الآية.

✸ حكم تفسير القرآن الكريم: بالنسبة للشخص

لو تكلم شخص في القرآن الكريم برأيه وبدون علم واتباع الهوى فهذا محرم شرعًا ويأثم صاحبه؛ لأنه يقول على الله بغير علم.

فليس من حقه أي واحد أن يفسر القرآن الكريم، يعني بمجرد أن يخطر أي معنى على باله، فيقول: هذا هو المقصود بتفسير القرآن الكريم

مثلا: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ [النجم: 22]، فيقول: ﴿ضِيزَى﴾ يعنى: عظيمة ، ماهو دليلك على أن المقصود بـ ﴿ضِيزَى﴾ عظيمة يقول: الظاهر أن المقصود بـ ﴿ضِيزَى﴾ عظيمة ، فهل تعرف معنى هذه الكلمة في لغة العرب؟ يقول: والله ما قرأت، لكن أتوقع، فهذا حرام ، وهذا قول في كتاب الله بغير حق، وبغير علم ولا يجوز، وهو محرم.

وإنما تتكلم في معاني القرآن الكريم بعلم، إما القرآن الكريم نفسه يُبين أو قرأت أو سمعت الحديث النبوي يشرح هذه الآية، تكون عارفا بالتفسير، وعارفا بأصول التفسير، وقرأت في كتب التفسير عن علم، فتحدث في معاني الآيات، أما إذا كنت تتحدث بدون علم فهذا محرم، ومن قال في القرآن الكريم برأيه فقد أخطأ

- متى يكون التفسير بالنسبة للشخص جائزا؟

إذا تكلم بعلم وأخذ بالأسباب المعينة، وتجرد لبيان الحق فيكون جائزا ، فحتى لو كنت تتكلم بعلم، فقد تصيب وقد تخطئ، لكن المهم أنك تتكلم عن علم وبينة، أما أن تتكلم بغير علم، فهذا محرم ولا يجوز، ولذلك الله -سبحانه وتعالى- عظم من شأن هذا الأمر في القرآن في مواضع كثيرة.

الدليل على ذلك: قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 33] ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يدخل فيها الكلام في تفسير القرآن الكريم بغير علم والله سبحانه وتعالى جعل القول على الله بغير علم أعظم من الشرك بالله، لأن الشرك بالله أعظم من الفواحش، فدل على أنه مرتبها من الأخف للأثقل، والشرك بالله هو قول على الله بغير علم، والكفر قول بغير علم، والكلام في تفسير كلام الله -سبحانه وتعالى- بمجرد الرأي قول على الله بغير علم. فالقول على الله بغير علم من أعظم ومن أكبر الكبائر.

لأنك عندما تتكلم في التفسير بغير علم كأنك تقول: هذا مقصود الله -سبحانه وتعالى- بكلامه، فإذا كنت تفعل ذلك بغير علم فقد ارتكبت كبيرة من الكبائر؛ لأنك تكذب على الله -سبحانه وتعالى-

- حكم التفسير

حكم تفسير القرآن الكريم فرض كفاية، إذا قام بع مَن يكفي في الأمة سقط الإثم عن الباقين.

أن تخلو الأمة ممن يستطيع أن يبين لها معاني كلام الله ويشرحها للناس، فهذا لا يجوز ويحرم، وهنا تأثم الأمة كلها.

- نشأة التفسير

نشأ التفسير من عهد النبي ﷺ منذ جاءه الصحابة -رضي الله عنهم- يسألونه عن معاني بعض الآيات، فبين لهم النبي ﷺ معانيها

صحيح أن الذي سأل عنه الصحابة قليل لأسباب موضوعية، وهي: أن النبي ﷺ والصحابة الكرام -رضي الله عنهم- أهل اللغة، هم أهل الفصاحة، هم أهل البلاغة، فكان القرآن الكريم ينزل بلغتهم وبطريقتهم التي يعرفونها فلا يحتاج أن يسألوا عن كل صغيرة وكبيرة.

لكن بعد عصر الصحابة -رضي الله عنهم- زادت الحاجة إلى التفسير.

مثلاً: أن النبي ﷺ قد بين مائتين أو ثلاثمائة آية، وقلنا الأحاديث المرفوعة في تفسير القرآن الكريم في هذه الحدود، ثلاثمائة، ثلاثمائة وعشرين، ثلاثمائة وأربعين من الأحاديث، لكن عدد آيات القرآن الكريم 6236 آية على رواية حفص، فيعني يكون العدد الذي بينه النبي ﷺ قليل جدا مقارنة بما لم يبينه.

والسبب أن الصحابة شهدوا التنزيل، ويعرفون أسباب النزول، فتنكشف لهم معاني الآيات بسهولة، لكن تأتي أنت في عهد التابعين أو تابع التابعين، وأنت لم تشهد هذه الأسباب، ولم تعرف ملابسات النزول، فيغيب عنك عدد من المعاني.

لكن تفسير النبي ﷺ للقرآن الكريم فيه مزية،فكأنه أشبه ما يكون بقواعد في تفسير القرآن الكريم، يعني كيف تفهم القرآن الكريم.

مثلاً: عندما جاء عبد الله بن مسعود، وسأل النبي ﷺ عن آية سورة الأنعام، وقال: يا رسول الله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82] أنا أرى أن في هذه الآية معنى شاقًّا على المسلمين، يعني لا يعد الله بالأمن والهداية إلا مَن لا يتلبس بظلم، والظلم لا يكاد يسلم منه أحد.

فالنبي ﷺاستخدم معه طريقة أصبحت منهجًا نسير عليه في تفسير القرآن، وهو تفسير القرآن بالقرآن، وحمل معاني بعضها على بعض، فالرسول ﷺ مباشرة ربط بين هذه الآية وبين الآية التي في سورة لقمان، وقال: ليس المقصود بالظلم مطلق الظلم، وإنما المقصود بالظلم ظلم خاص وهو الشرك بالله

- مثال لقاعدة أصولية

علماء اللغة وعلماء الأصول يقولون قاعدة: "النكرة في سياق النفي أو النهي أو التمني أو الاستفهام تدل على العموم".

مثال لتفسير القرآن بالقرآن ١، مع تطبيق القاعدة الأصولية:

الله يقول -سبحانه وتعالى-: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، ﴿ظُلْمٍ﴾ هنا نكرة والسياق الذي وردت فيه سياق نفي لأن (لم) حرف نفي فانطبقت عليها القاعدة: "نكرة في سياق نفي تدل على العموم"،فعبد الله بن مسعود فهم فهمًا صحيحا، فهم أن العموم هنا يدل على العموم مطلقًا، أنه يدخل فيه مطلق الظلم.

فجاء إلى النبي ﷺ وهو الذي يوحى إليه، فصاحب المرجعية في البشر، ولا يوجد أحد فوقه ﷺ في البشر، وإنما مباشرة يأخذ من جبريل.

الرسول قال: لا يا عبد الله، ليس المقصود بالظلم هنا مطلق الظلم، مع أن فهمك صحيح، أن فعلاً: "النكرة في سياق النفي تدل على العموم"

فلما سأل النبي ﷺ لم يقل: أنت أخطأت في الفهم، لم يقل له: فهمك هذا لا يجري على قواعد اللغة، لا سكت، وإنما قال: ﴿ليس الذي تعنون﴾ يعني ليس الظلم هنا مطلق الظلم، وإنما المقصود به الشرك، وفسرها بآية أخرى وهي في سورة لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

وهذا المثال صراحة رائع جدا في الذين يضعون قواعد التفسير وأصول التفسير، فجاءوا إلى قاعدة تفسير القرآن بالقرآن.

مثال: تفسير القرآن بالقرآن2:

الرسول ﷺ أيضًا فسر آية أخرى من سورة الأنعام بآية في سورة لقمان، وهي قول الله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 59].

- ما هي مفاتح الغيب؟

الجواب في سورة لقمان في قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، هذا من علم الغيب المطلق ﴿ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 34] خمسة مفاتح، هذه هي الغيب الذي استأثر الله به -سبحانه وتعالى- فلم يطلع عليه أحدًا من خلقه.

- إذن نشأة التفسير كانت في عهد النبي ﷺ وكان فيه قواعد وضعها النبي ﷺ لكي نفهم بواسطتها القرآن الكريم، ولكي يأتي الصحابة والتابعون من بعده فيسيرون على هذه القواعد في تفسيرهم القرآن وبيانهم له.

مثال: عدي بن حاتم -رضي الله عنه- لما نزل قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾

فعدي بن حاتم فهمها فهمًا خاطئًا، فظن أنه لا بد أن تأتي بخيط أبيض وخيط أسود، وتضعه عند رأسك وأنت نائم، وإذا استيقظت في الليل وتطالع فإذا لم تميز الأبيض من الأسود معناه ما زال هناك فرصة أنك تأكل، فإذا بدأ يتضح الأسود من الأبيض، معناها تتوقف عن الأكل، هكذا فهم، فلما جاء إلى النبي ﷺ قال: يا رسول الله، أنا فعلت كذا وكذا، فضحك النبي ﷺ وقال: ليس المقصود أنك ترى الخيط الأبيض أو الخيط الأسود؛ المقصود بالخيط الأبيض: بياض الصبح، وبالخيط الأسود: سواد الليل، ثم نزل قول الله تعالى: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ لكي يُزيل مثل هذا الفهم الذي وقع فيه عدي بن حاتم -رضي الله عنه-

فوقوع عدي بن حاتم في سوء الفهم هو أيضًا عدم وضوح دلالة الآية عنده، وربما وقع أيضًا فيها غيره.

فهذه أمثلة قليلة من أمثلة بيان النبي ﷺ لمعاني القرآن الكريم، وهو ﷺ الذي وضع أصول التفسير ، وهذه الأمثلة التي هي أصبحت أصلاً لأصول التفسير بعد ذلك.

✸ الفرق بين مسألة تفسير النبي ﷺ للقرآن، التفسير النبوي، وبين مسألة التفسير بالسنة

❖ النوع الأول: التفسير النبوي: هو التفسير الذي فسره النبي ﷺ بنفسه، مثل ﴿ألا إن القوة الرمي﴾ تفسيره للظلم بالشرك، هو نفسه ﷺ فسر هذه الآيات، قال هذه الآية وتفسيرها كذا وكذا.

❖ النوع الثاني التفسير بالسنة: هو أنه لا يفسر النبي ﷺ الآية، لكن يأتي بعده من الصحابة أو من التابعين أو من أتباع التابعين أو من المفسرين مَن يأخذ حديثًا من أحاديث النبي ﷺ يرى أنه يُبين آية من الآيات فيضعه في تفسيرها

مثال قول الله –سبحانه وتعالى-: ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر]

➢ ما معنى هذه الآية؟

قال ابن كثير –رحمه الله– في تفسيره: قال النبي ﷺ ﴿يؤتى بجهنم يوم القيامة ولها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها إلى الموقف﴾ الرسول ﷺ لم يقل إن هذا الكلام تفسير للآية، لكن ابن كثير أخذ هذا الحديث، وجاء به في تفسير هذه الآية، فنسميه تفسير بالسنة.

فالتفسير بالسنة ليس من عمل النبي ﷺ وإنما عمل من بعده، يحملون كلامه لبيان الآيات القرآنية، وهذا يعني أكثر منه ابن كثير –رحمه الله–، وأيضًا في مواضع كثيرة من تفسير الطبري

✸ التفسير في عهد الصحابة

لما تُوفي النبي ﷺ تولى الصحابة التفسير بعده ولم يكونوا كلهم يفسرون القرآن بل كان هناك مجموعة من الصحابة هم الذي اشتهروا بتفسير القرآن الكريم، وتصدوا له، ومن أبرزهم وأعلمهم عبد الله بن مسعود الهذلي، وعلي بن أبي طالب –رضي الله عنه– وأُبي بن كعب، وعبد الله بن عباس –رضي الله عنه– وهو من أصغر الصحابة، ولكنه كان من أعلمهم، وهو الذي ورث علم جميع الصحابة، خاصة علم عبد الله بن مسعود وعلم علي بن أبي طالب –رضي الله عنهم أجمعين–، فقد أخذوا عن النبي ﷺ علم التفسير.

ولذلك يقول عبد الله بن مسعود: ﴿والله ما من آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، وفيمن نزلت، ومتى نزلت، ولو كنت أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه المطي لسافرت إليه﴾ فهذا دليل على سعة علمه بكتاب الله –سبحانه وتعالى– ومعانيه.

توفي عبد الله بن مسعود مبكرًا في سنة 32 هجرية، وما زال الصحابة موجودين، وكبار التابعين موجودين، فما كان هناك حاجة لما عنده من العلم لأن الناس لا يسألون كثيرًا عن التفسير؛ لأن التفسير معناه أنك لم تفهم هذا النص العربي، وهذا لا يكون مع وضوح العربية عندهم.

لكن تكثر الأسئلة عند الذين يُصبح عندهم صعوبة في فهم النص القرآني، وهذا حدث مع وجود التابعين وصغار التابعين بالذات، ودخول غير العرب في الإسلام واختلاطهم بالعرب، فبدأت اللغة العربية تضعف؛ لأنه أصبح الموالي، وكثرة المسلمين من غير العرب، أصبح هناك مشكلة في اللغة العربية، مما دعا العلماء في ذلك الوقت إلى التصدي لذلك بوضع قواعد للنحو، وبدأوا يضعون قواعد للنحو لكي يحموا اللغة العربية من الذوبان في اللغات الأخرى، وهذا شيء طبيعي يسمونه علم اللغة الاجتماعي

في عهد الصحابة ظهرت الحاجة لعلم التفسير بشكل واضح، وكان عبد الله بن عباس يتصدى وهو في مكة لتفسير القرآن الكريم، ويجتمع الناس حوله للسؤال عن التفسير بالذات.

قصة طريفة

يذكرون في كتب التفسير والأدب، قصة نافع بن الأزرق أنه جاء هو وزميله نجدة بن عويمر العجلاني –وكلاهما من الخوارج–، فجاءوا إلى ابن عباس فإذا به جالس في مكة، في الحرم في الصحن، وإذا به يفسر القرآن للناس، هذا يسأل، وهذا يسأل.

قالوا: مَن هذا؟ قالوا: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله مفسر القرآن.

فجاء إليه نافع بن الأزرق وقال له: يا ابن عباس، إني سائلك عن آيات في كتاب الله، فأريد أن أسمع جوابك ولا أقبل جوابك إلا إذا أتيتني بشاهد من كلام العرب على صحة ما تقول.

فقال له: ما معنى قول الله تعالى في سورة المعارج: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ** عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج 37،36]

ما العزون؟ يعني ما معنى﴿عِزِينَ﴾ ؟

قال عبد الله بن عباس: العزون هم حِلق الرفاق، يعني إذا جلست في حلقة وتحلق حولك حلقة، حلقتين، ثلاث، يقال لهم: العزون.

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ يعني هل العرب يقولون: العزون يعني هم الحِلق؟

قال ابن عباس: نعم، أما سمعت قول عبيد بن الأبرص –وهو شاعر جاهلي قديم:

فجاءوا يهرعون إليه حتى *** يكونوا حول مِنْبَرِه عِزِينا

يعني حلق يتحلقون حول منبره

- فعبد الله بن عباس لما جلس في الحلقة التفَّ حوله التلاميذ، وكان هناك تلاميذ خاصون به،لا ينقطعون عنه، مثل مجاهد بن جبر، ومثل عكرمة مولى ابن عباس، ومثل سعيد بن جبير، كان يأتي من الكوفة ويأخذ العلم والتفسير بالذات عن عبد الله بن عباس، وعدد من التابعين الذين لازموا عبد الله بن عباس في علم التفسير بشكل كبير.
- في المدينة كان هناك عدد من الصحابة –رضي الله عنه– الذين بقوا في المدينة، وأخذ الناس عنهم التفسير مثل أبي بن كعب، ومثل علي، وعمر –رضي الله عنهم–، مجموعة من الصحابة.
- في الكوفة كان عبد الله بن مسعود، أرسله عمر بن الخطاب إلى الكوفة، فأخذ يُعلم الناس التفسير والفقه وغيره.
- أبو الدرداء –رضي الله عنه– كان في دمشق مُقيم، أيضًا نشر علم التفسير في دمشق.

لما تأتي إلى كتب التفسير؛ تجد الروايات التي يرويها العلماء عن التفسير عن الصحابة بالذات أكثرها عن ابن عباس، عن علي بن أبي طالب، عن عبد الله بن مسعود، عن عائشة –رضي الله عنها–، عن أبي موسى الأشعري، وهؤلاء هم أكثر مَن روي عنهم التفسير، البقية قليل مثل أبي بكر الصديق، قليل التفسير الذي رُوي عنه، عُمر بن الخطاب قليل الذي رُوي عنه، عثمان بن عفان قليل الذي روي عنه، خالد بن الوليد لا تكاد تجد رواية في التفسير عنه

✸ التفسير بعد عهد الصحابة

- تلاميذ هؤلاء الصحابة توسعوا وأصبح لهم مدارس بعد ذلك، وأصبح الطلاب يقصدونهم، شيئًا فشيئًا انتشر.
- ففي عهد ابن عباس ما كان فيه كتابة في التفسير، وإن كان مجاهد بن جبر –رضي الله عنه– وهو من أخص تلاميذه، ومن أعلم التابعين بالتفسير.

يقول مجاهد ابن جبر: "عرضت القرآن الكريم على ابن عباس ثماني عشرة مرة"، وفي رواية "خمس عشرة مرة"

وفي رواية: "عرضته ثلاث مرات، كنت أوقفه عند كل آية"، فنقول نحن: "ثلاث مرات" هذه خاصة بالتفسير، عني عرضات تفسير.

أما تلك فهي عرضات قراءة، وفي رواية أنه كان يكتب، يقول أحد التابعين: "شهد مجاهد بن جبر وهو يكتب التفسير عن ابن عباس"، لكن أين هو تفسير مجاهد؟ هناك مَن يقول فُقِد، وهناك مَن يقول: أنه وُجد وطُبع مؤخرًا، يعني من فترة طويلة، طبع تفسير منسوب إلى مجاهد بن جبر، بعض الناس يشكك في أنه فعلا صحيح، وبعضهم يعني يؤكد هذا، لكن هو انتقل فعلا التفسير على هؤلاء التابعين –رضي الله عنهم–، انتقل إلى أتباع التابعين، وأتباع التابعين أيضًا نشروه، وهناك من ألف من أتباع التابعين.

✸ التفسير في عهد التدوين

لما بدأت العلوم فأول ما دُوِّن من العلوم هو الحديث، بأمر من عمر بن عبد العزيز –رضي الله عنه–، عندما أمر محمد بن مسلم الزهري المشهور

بالإمام الزهري فبدأ يكتب الحديث، فلما بدأ الزهري يكتب الحديث، كان التفسير بابًا من أبواب علم الحديث، لذلك ستجدون في كتب الحديث باب التفسير أو كتاب التفسير، كما في صحيح البخاري وفي غيره، يَروي ما ورد وما أُثر عن النبي ﷺ أو عن الصحابة أو عن التابعين في تفسير القرآن الكريم.

- من كتب الواسعة جدًّا في التفسير بالمأثور "فتح الباري" لابن حجر العسقلاني الذي شرح فيه صحيح البخاري ، فجاء إلى كتاب التفسير في صحيح البخاري وشرحه، فأورد في شرحه لكتاب التفسير الآثار التي وردت عن الصحابة والتابعين في التفسير، فلذلك يعتبر "فتح الباري" شرح صحيح البخاري في كتاب التفسير، يكاد يكون هو رقم اثنين في التفسير بالمأثور بعد تفسير السيوطي"الدر المنثور في التفسير بالمأثور" من حيث كثرة الروايات عن الصحابة وعن التابعين وأتباعهم في تفسير القرآن الكريم.

فلما بدأ عصر التصنيف ويوثق التفسير، بدأ يكتب هذا تفسير، وهذا تفسير، واختلفت مناهج العلماء، أول المناهج كانوا يكتفون بما أُثر عن الصحابة والتابعين وعن النبي ﷺ

✸ التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي

التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، فهذا التقسم مشهور، وهو تقسيم الشيخ الذهبي -رحمه الله- في كتابه "التفسير والمفسرون"

قال: "أننا يمكن أن نقسم التفسير إلى نوعين: تفسير بالمأثور، وتفسير بالرأي"

❖ القسم الأول التفسير بالمأثور.

التفسير بالمأثور: هو تفسير القرآن الكريم بما أُثر عن النبي ﷺ والصحابة و التابعين

فهذه ثلاث طبقات، الصحابة والتابعين وأتباع التابعين.

فأي رواية من الطبقة التي قبلك هي تعتبر بالنسبة لك تفسيرا بالمأثور؛ لأن الأثر هو أثرُ مَن سَبَقك، وكل من سبقك يُعتبر سلفًا لك

لكن المأثور كلمة اصطلاحية: تُطلق على هذه الطبقات الثلاث، النبي ﷺ والصحابة، والتابعين، رواياتهم تسمى عندنا تفسيرا بالمأثور

مثال على ذلك: أقول ما تفسير الآية الفلانية؟

تقول: إذا كان فيها قول النبي ﷺ معنى هذه الآية كذا وكذا ، أو كما قال ابن عباس، أو كما قال علي بن أبي يطالب ، أو كما قال مجاهد بن جبر.

- هل كل ما قاله مجاهد بن جبر من التفسير أعتبره بالنسبة لي مأثورا؟

لغة هو مأثور

- هل أنا ملزم بقوله فقد يكون قال برأيه ؟

لا لسنا ملزمين به، الوحيد الذي أنت ملزم به هو قول الرسول ﷺ أو إجماع الصحابة ولم يختلفوا، أو إجماع التابعين ولم يختلفوا ، لأنهم كانوا هم أهل اللسان وأهل التنزيل، وشهدوه.

فقد يكون التفسير بالمأثور هو تفسيرا بالرأي، فقد يجتهد الصحابي ويفسر القرآن الكريم برأيه، ونسميه نحن مأثورًا؛ لأنه مرويٌّ عنه، وكذلك التابعي، فالتقسيم إلى تفسير بالمأثورِ وتفسير بالرأي، تقسيم غير دقيق، لكنه موجود في كتبِ التفسير.

فعندما نقول تفسير بالمأثور نقصد تفسير عن الطبقات المتقدمة، عن الرسول، الصحابة، التابعين، الذين تكلموا في القرآن الكريم بعلم

التفسيرِ بالرأي: هو أن تُعمِل علمك وعقلك في بيان المعنى.

ليس مجرد أن تُعمِل عقلك بدون ضوابط وبدون أصول؛ فليس أي واحد ممكن أن يأتي ويقول: والله تفسير الآية كذا وكذا، فهذا قول خطير جدا جدا

تنبيه

على المرء الذي يود أن يفسر القرآن الكريم، أن يكون على حذر، فإذا سُئلت عن شيء في القرآن الكريم وكنت غير متأكد منه مائة بالمائة، قل: لا أدري، لا أدري.

فالعلماء من الصحابة والتابعين كانوا يتكلمون في القرآن بعلم، إما أن يكون عندهم فيه علم من الرسول ﷺ أو عن الصحابة العلماء مثل ابن مسعود ومثله، أو كلام لغة ، فهم أهل اللغة فيبينون معنى هذه الكلمة في لغتهم؛ لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: 3] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: 195] فأنت تفهم القرآن باللغة العربية.

مثال:

لو جاء شخص وقال: ما معنى ضيزى؟

قلنا: جائرة، ظالمة، غير عادلة.

قال لك ما هو الدليل ؟

قلنا: الدليل أن العرب يستخدمون كلمة (ضيزى) بمعنى جائرة وظالمة وغير عادلة، كما هو قول فلان من شعراء الجاهلية.

إذن: فأنت فسرت القرآن الكريم بعلم، بلغة.

✸ تقسيمات التفسير بالرأي

التفسير بالرأي يمكن أن نقسمه إلى قسمين:

❖ القسم الأول:التفسير بالرأي المحمود.

التفسير بالرأي المحمود: هو تفسير القرآن الكريم بناء على أصول التفسير المعروفة الصحيحة.

➢ كيف يكون التفسير بالرأي المحمود؟

يعني بعلم، كما في كلمة (ضيزى) ، فسرتها باللغة.

❖ القسم الثاني: التفسيربالرأي المذموم.

التفسير بالرأي المذموم المنهي عنه شرعًا، المحرم شرعًا فهو الكلام في تفسير القرآن بغير علم، وإنما بمجرد الرأي المجرد، هذا محرم ولا يجوز، وقد جعله الله أعظم من الشرك به.

خلاصة

التعريفات

التفسير بالمأثور: ما أثر عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين

التفسير بالرأي: هو ما فسره المفسر من تلقاء نفسه بناء على العلم الذي تعلمه من أصول التفسير.

حكم التفسير بالرأي

إذا كان بالرأي المحمود فهو جائز

إذا كان بالرأي المذموم فهو محرم.

المصادر:

مصادر التفسير بالمأثور:

الصحابة، التابعين، النبي ﷺ وهي موجودة في كتب السنة وفي كتب التفسير بالمأثور

- من أبرزها كتاب: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للإمام الطبري
- من أبرزها كتاب "تفسير القرآن العظيم" للشيخ ابن كثير
- من أبرزها كتاب "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" للإمام السيوطي
- وغيرها من الكتب التي اعتنت بالروايات عن النبي ﷺ، كتفسير ابن أبي حاتم

مصادر التفسير بالرأي

فهي كثيرة، مثل

- تفسير الإمام الطبري -رحمه الله- فهو يجمع بين الرأي والأثر بشكل واضح وظاهر،
- مثل تفسير القرطبي "الجامع لأحكام القرآن"
- مثل تفسير ابن كثير، ففيه أيضًا اجتهاد وتفسير بالرأي كثير.

المكانة:

التفسير بالمأثور لا شك أنه له مكانة متقدمة؛ لأن الطبقات التي نقل عنها التفسير طبقات ملزمين نحن بالأخذ بتفسيراتهم إذا أجمعوا عليها، النبي ﷺ إذا فسر آية فليس لغيره يعني قول مع قوله

مثال: عندما سأل سعيد بن المعلى -رضي الله عنه- عن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87]

قال النبي ﷺ: ﴿الفاتحة هي السبع المثاني، والقرآن الذي أوتيته﴾ ففسر السبع المثاني بأنها الفاتحة.